الحصيلة اللغوية لتلميذ السنة الأولى أساسي

(بحث في التعليمية)

الدكتور الشيخ بوقربة

قسم اللغة العربيّة وآدابها.

كلّية الآداب جامعة وهران

لقد شغلت ظاهرة اكتساب اللّغة عند الطفل علماء النفس واللسانيات فصنفوا فيها مؤلفات عديدة، تحدثوا فيها عن عوامل اكتساب الطفل للّغة، وارتقاء نظامه اللساني؛ وقد أدى اهتمام علماء اللغة بهذه الظاهرة إلى ظهور مدارس لغوية مختلفة، ونظريات عديدة فسرت كلها عوامل اكتساب الطفل للغة وارتقائها عنده.وقبل أن نتطرق إلى الحديث عن النهج الذي نؤثره في العملية التعليمية لتلميذ السنة الأولى أساسي؛ نعرض – بادئ ذي بدء – للحديث عن المنزلة الاجتماعية للغة، وأثرها في طرائق تدريس اللغة العربيّة، وأساليب تعليمها وتعلمها؛ لأن تلك النزلة أخطر ما يجب أن نقدره ، ونطلب له، في محاولتنا كنها لإصلاح علوم العربيّة[1] ، وجعل دراستها مجدية، محققة لحاجة المجتمع الجزائري، ومطالب حياة الأمة.

والذي لا شك فيه أنّ اللغة العربيّة التي تعاني تعليمها، ورياضة النشئ عليها: " ذات منزلة في الحياة لا تسر صديقاً، ولا تكتب عدوا "[2]، لذا يجب أن تكون هذه اللغة عند أهلها أنفسهم في منزلة كريم، ومكانة عزيزة؛ لأنها تعبر عن أفراحهم و أقراحهم، كما أنّ هذه اللغة العربيّة هي التحف الصوتي لأدوار

---

[1] أمين الخولي: فن العقول (في معهد الدراسات العليا)، دار الفكر العربي،القاهرة 1947،ص 110.

[2] أمين الخولي: المرجع نفسه: 110.

حياة المجتمع الجزائري في أثناء العصور والأجيال التي تعاقبت عليه. كما كانت اللغة العربيّة دائما تمثل الصلة الوثقى، بين أمس المجتمع الجزائري ويومه؛ ذلك أن اللّغة العربيّة في الجزائر هي الوعاء الذي يحمل أفكار المجتمع ويدنو من الأفئدة والألسنة، وتوزيع العمل إلى ذلك كلّه ان اللغة العربيّة تعمل على تحقيق قوى الجماعة، وتوزيع العمل على تلك القوى؛ ويأتي في صدارة هذه القوى: العلم؛ ذلك أنّ المعلم يعمل على تعليم النشء ويجعل تلامذته يلتقون إلى ماضي اللغة العربيّة، لآثاره في حاضرهم وحاضر أمتنهم . كما يجعلهم يدرسون هذه اللغة، ويتفننون رضاهم من الانغام والأصوات والأصداء[3] فيكثرون من ترديها على آذانهم كما يتبيّنوا أسرارها وعجائبها.

وإذا عدنا إلى الحديث عن عملية اكتساب اللغة عند الطفل. نجد ان علماء النفس واللسانيات[4]، فصلوا فيها، ووضعوا تعريفات عديدة وفننوها منذ القرن الماضي، ويأتي في طليعة هذه النظريات نظرية التعلم، والنظرية اللغوية، والنظرية المعرفية. وقد اهتمت كلّ هذه النظريات على تفسير تعلم اللغة عند الطفل ومدارستها قصد الوصول إلى تحديد عناصر تعلم اللغة عند الطفل.

أما نظرية التعلم؛ فقد اهتمت بالسلوك العام للطفل، وجعلته منطلقا لعملية التعلم. وبعبارة اعتمد أصحاب هذه النظرية على آلية المثير والاستجابة كما حندها السلوكيون[5] الذين اعتمدوا في دراستهم للسلوك البشري على علم النفس التجريبي؛ وذلك بالتركيز على الملاحظة المباشرة للسلوك دون الالتفات إلى العقل.**أو** الوظيفة النفسية.وهذا معناه أن اللغة هي استجابة مباشرة يصدرها الفرد المتكلّم تمده بها بيئته ومجتمعه، وتأخذ هذه الاستجابة شكلّ السلوك

---

[3] أمين الخولي: المرجع نفسه:112.

[4] توفيق الزيدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب: ليبيا/تونس:1984: ص 16.

السلوكيون أمثال: واطسون، وسكينز، وبلومفيلد، وقد ظهرت النزعة السلوكية منذ سنة 1924 عندمانشر [5]واطسون أبحاثه التيهيأت لظهور النظرية السلوكية.

اللفظي الناتج عن هذه الملاحظة. المباشرة.

وقد درس الدكتور أحمد حساني نظرية التعلم، ورأى ان سكينز – أحد أعلام هذه النظرية البارزين – تحدث عن الاستجابات اللفظية عند الطفل ورأى أنّ هده الاستجابة تمر بثلاث مراحل: يبدأ الطفل في المرحلة الأولى بالتلفظ نتيجة استجابات نطقية في صورة ترديد لأصوات يسمعها من الأشخاص المحيطين به؛ فيتقلدها، **أو** يحاكيها، وتكون استجابة الآخرين له نوعا من التعزيز يساعده على تكوين أصوات لفته. فتظهر الأصوات عند الطفل بطريقة عفوية في الرحلة الثانية، ثم تنتهي بارتباطها بمعنى عند الآخرين. وتختص الرحلة الثالثة بالاستجابة اللفظية الكاملة وتعلم هذه العملية عن طريق المحاكاة، وتكون هذه الاستجابة عادة عند حضور الشيء المشار إليه[6].

يتضح مما تقدم أنّ عملية تعلم الطفل للّغة واكتسابه لها تستمد من السلوك؛ فقد يبدأ الطفل الاحتكاك والاختلاط بغيره من المحيطين به منذ المراحل الأولى من حياته، "تدفعه لذلك طبيعته وحاجته إلى الدفاع, عن نفسه ذ وتوفير أسباب حياته وتلبية رغباته "

ومن هنا يبدأ الطفل بالاتصال الوثيق بأبويه وأفراد أسرته ٠ ثم تتوسع دائرة اتصاله شيئا فشيئا،مع مرور الزمن، وتعذب أغراض الحياة، وعن طرين الاتصال يكتسب الطفل لغته الأولى إذا توفر لديه الاستعداد الفطري لاكتسابها[7].

وترتكز أسس النظرية اللغوية – التي يتزعمها العالم اللساني الأمريكي تشومسكي (CHOMSKY) – في تفسير عملية التعلم عند الطفل على،

ينظر:الدكتور أحمد حساني: دراسات في اللسانيات التطبيقية(حقل تعليمية اللغات) الطبعة الأولى، ديوان [6]المطبوعات الجامعية: الجزائر:200ص 92.

ينظر الدكتور عبد المنعم المليجي،والدكتور حلمي المليجي: النمو النفسي: الطبعة الخامسة، دار النهضة [7]العربية بيروت 1971 ص 178.

النزعة العقلية. وترى هذه النظرية ان ,ء الطفل يولد مهيأ لاستعمال اللغة؟ فهو يمتلك نماذج تركيبية ذهنية، وهذه النماذج هي التي تشكلّ القواعد التركيبية الخاصة بلغة الطفل في مجتمع معين؛ فهي تمثل الكفاية الأولية التي تساعده على تحليل التراكيب التي. يسمعها، ثم إعادة صياغة القواعد للغته الأم (...)[8] . .

يظهر أن أصحاب هذه النظرية يعتبرون اللغة مظهرا عقليا صرفا واللغة فيه مجرد أداة للتفكير والتعبير؛ وهذا معناه ان نظرية الثير والاستجابة هي نظرية قاصرة؛ غير قادرة على تقديم التشير الكافي والفعلي للغة[9] .

وأما النظرية العرفية التي يتزعمها بياجي؛ فقد درست عملية اكتساب اللغة عند الطفل، وميزت بين الكفاية اللغوية والأداء الكلّامي؛ فالأداء الكلّامي – حسب بياجي – يأتي " في صورة ملفوظات منطوقة قبل أن تقع في حصيلة الطفل اللغوي"[10]. التى تنشأ عن التقليد، لكن الكفاية اللغوية لا تنشأ إلا من خلال التنظيمات الداخلية، ثم يعاد تنظيمها على أساس تفاعل الطفل مع بيئته الخارجية. وهذا ليس معناه أن بياجي يتفق مع تشوسكي في نظريته اللغوية، بل على العكس. فقد عارضه ولم يتفق مع المرتكزات الفكرية للنظرية العقلية التي قال بها تشوسكي. ومن هنا نرى ان بياجي انما يعني – على حد قول الدكتور أحمد حساني – وجود استعداد فطري عند تفاعل الطفل مع بيئته الطبيعية والاجتماعية منن المرحلة الأولى من حياته: وهي الرحلة الحسية الحركية[11] . والذي لا شك فيه ان هذه النظريات على اختلافها، وتباين أصحابها، قد حاولت تفسير عملية اكتساب اللغة عند الطفل فكيف يتعامل التلميذ في السنة الأولى

---

[8] الدكتور أحمد حساني: المرجع السابق ص 94-95.
[9] الدكتور أحمد حساني: المرجع نفسه ص 96.
[10] الدكتور أحمد حساني: المرجع السابق ص96.
[11] الدكتور أحمد حساني: المرجع نفسه ص96.

أساسي مع اللغة في المدرسة؟

لقد تطورت وسائل التعليم وطرق تلقين اللغة وتدريسها للنشء قصد تطوير قدرات التلاميذ الإبداعية ونشاطاتهم الفكرية والاجتماعية. وتعن المدرسة • بوصفها مكانا للتدريس والتلقين – أحد أهمك الوسائل التعليمية في عصرنا الحديث.

ولا تعتبر المدرسة الحديثة – في نظر علماء التّربية العاصرين – ,– "مكانا لتلقين المعارف، ونقل المعلومات بقدر ما تعتبر صورة مصغرة مكثفة للحياة الاجتماعية المنظمة التي يكتسب الناشئ من خلال معايشة لها المعارف والخبرات والعادات السلوكية، عبر اتصاله وتفاعله مع عناصر وفئات اجتماعية ذات خبرات متنوعة ومتفاوتة,[12]"

ثم إن المدرسة كما عنفها جون ديوي (john dewey) – هي مؤسسة مشاركة اجتماعية، كما إنها صورة للحياة الاجتماعية التي تهيئ الطفل للمشاركة في المجتمع، وإلى استخدام قوات الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية والذي لا ريب فيه أن التلميذ في المدرسة يعيش لفته في مجالها الند ي وكذلك مجالها التطبيقي. ويرى الدكتور أحمد محمد المعتوق أن التلميذ من خلال معايشته للغة في المدرسة التي تستمر– في العادة – فترات طويلة من الزمن. هي التي تجعله يتعلمها، ويكتسب مجموعة كبيرة من كلّماتها وصيفها وتراكيبها، الأمر الذي يغنى حصيلته اللغوية، بدءا من اللفظة إلى الجملة إلى إنماء مهاراته اللغوية بجميع أشكالها.

وهكذا تلعب المدرسة دورا هاما في إغناء لغة التلميذ وتطوير مهارته اللغوية عامة؛ فكيف يتلقى تلميذ السنة الأولى أساسي اللغة في المدرسة

---

[12] الدكتور أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية (مصادرها وسائل تنميتها) سلسلة عالم المعرفة، العدد:212:الكويت:1996: ص 156.

الجزائرية؟

الواقع ان عملية اكتساب اللغة عند تلميذ السنة الأولى أساسي في المدرسة تمز – بادئ ذي بدء – بالمستوى الصوتي؟ فقد يتم التلفظ. بالأصوات الصامتة – مثلا – عند التلميذ؛ فيركز مثلا على الأصوات الشفوية مثل: (الباء، واليم، والنون) ويستطيع أن ينطق هذه الأصوات بسهولة وبالتالي التلفظ بالحروف التي تتكون منها.و نقود هذه الرحلة إلى الظاهرة اللفظية (VERBATISME) ذلك أن التطور المرحلي لاكتساب اللغة عند الطفل يقوم على التدرج التصاعدي" من الصراخ المبهم إلى المناغاة العشوائية إلى الموت اسوي. ثم المقطع، إلى الكلّمة، ثم الجملة(..٠)٠٠[13] . فبعد ان ينتهي التلميذ من إدراك أصوات لغته؛ يبدأ التحكم في هذه اللغة ذ وتبدأ هذه الأصوات تتشكلّ في مقاطع تتحول إلى كلّمات، ثم إلى جمل دالة يكتسبها التلميذ في المدرسة عن طريق الإدراك السمعي، فالصوت (الباء) يتحول إلى كلّمات ثم إلى جمل، ويوضح الرسم التالي هذا التحول:

[13] الدكتور أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية (مصادرها وسائل تنميتها)

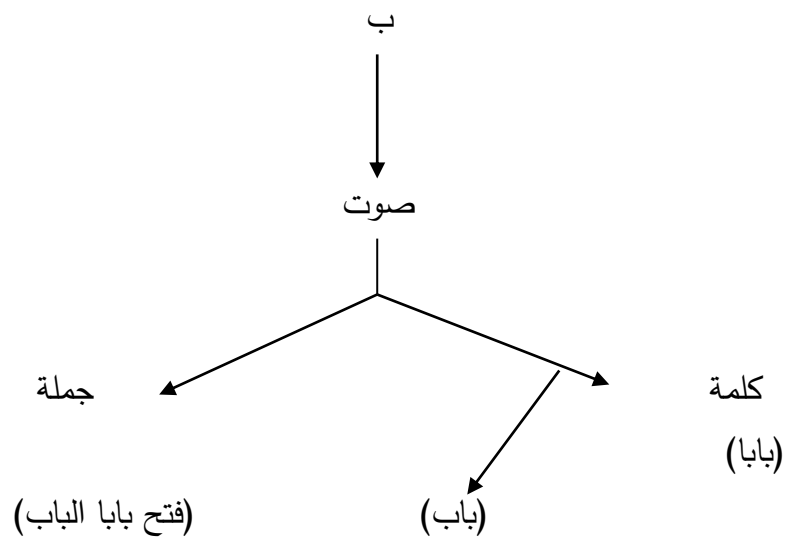

تم الأصوات تتشكلّ في مجموعات مقطعية، ثم تتحول إلى كلّمات يرددها التلميذ معرفة معانيها،أو دون إدراك دقيق لهذه المعاني، لكن مع مرور الزمن يبدأ التلميذ في التعرف إلى هذه الكلّمات والجمل. ثم إدراك معانيها، وذلك بمساعدة العلم الذي يبدأ في تقريب العاني بالوسائل والتطبيقات الحسية المستمدة من واقع حياة التلاميذ ط ومن خبراتهم وظروفهم المحيطة، بتوضيح الكلّمات والعبارات الجديدة التي يستخدمونها بنحو كاف[14].

ومن هنا يجب أن يدرك التلميذ في المدرسة الكلّمات التي يتعلمها؛ لأنها تعد وسائل هامة للتعبير عن الشاعر والعلوم التي يتلقاها؛ لذا ينبغي على التلميذ أن يشارك كتابة ونطقا على ما تلقاه من معلمه، ليتمكن من إتقان لفته وإحراز المهارة في استخدامها، يرى الدكتور أحمد محمد المعتوق[15] أن بعض الدراسات

---

[14] ينظر الدكتور أحمد حساني: المرجع السابق:ص:192.

[15] الدكتور أحمد المعتوق: المرجع السابق: ص:192.

الحديثة أظهرت أن التلميذ يزداد قدرة على التعبير كلّما تهيأت له الفرص لتطبيق ما يدرسه من قواعد اللغة، ويسمعه ويتلقنه من الكلّمات والصيغ والتراكيب والأساليب اللغوية عمليا، وكلّما هيأ العلم فرها عديدة لتلاميذه للكتابة، ثم قام بتصحيح الأخطاء في الكلّام والكتابة، استطاع التلاميذ استيعاب ذلك؛ لأنه ,,سيعطي معنى للمفاهيم التي تدرس"[16] . أما الكتاب المدرسي؛ فيجب أن يراعى ظروف التلميذ النفسية، ويهتم بتوضيح الكلّمات مصحوبة بالصور المفسرة للمواقف التي يتعرض التلميذ لدراستها كما يجب على المعلم أن لا يماطل في الإجابة عن أسئلة التلميذ. أو تجاهل هذا السؤال مرة أخرى؛ الأمر الذي يجعل الكلّمات غير المفهومة لديه غريبة جوفاء في ذهنه. لذا يجب على المعلم أن يستخدم الصورية في شرحه للكلّمات، والمواد خصوصا المواد الطبيعية والحضارية. ومهما يكن من أمر فان لطريقة التعليم الذي ينتهجها المعلم أثرا واضحا في اكتساب التلميذ للغة، خاصة تلميذ السنة الأولى أساسي؟ ذلك أن للمواد والموضوعات المقررة، ولطرق عرضها وإخراجها وتنسيقها في الكتب المدرسية دورا واضحا وهاما"؛ فكلّما كانت هذه الموضوعات متنوعة ومفيدة,, وملائمة لمستويات التلاميذ الزمنية والعقلية، متصلة بحياتهم الاجتماعية. اهتم بها التلاميذ وكلّما كانت هذه الموضوعات معروضة بطريقة فنية جميلة. ازدادت متعة التلاميذ بها، وشوقهم إلى قراءتها، وبقراءة التلاميذ لهذه الموضوعات. تزداد حصيلتهم اللغوية، والتمكن من لفتهم.

---

[16] ولنكتن وولنكتن: تربية العقل النافد، ترجمة الدكتور طه الحاج الياس، المكتبة الأهلية، بغداد1965 ص:174-175.